

القيم الثقافية

نحت حجري لطائر الكركي والسلاحف والأسماك والتماسيح وغيرها من الحيوانات البرية ، مجمع معبد أنكور وات، كمبوديا.
صورة © كروفورد برنتيس

منذ بدء الخليقة، أدرك الانسان أهمية المياه كعنصر أساسي من أجل البقاء. ومع ظهور الزراعة، أصبح توافر المياه الكافية عاملاً أساسياً لإنتاج الغذاء. وأصبحت الأماكن الوفيرة بالمياه مراكز حضارات عظيمة -- كما هو الحال بالنسبة لنهر النيل لقدماء المصريين ودجلة والفرات لبلاد ما بين النهرين ونهر ميكونغ لإمبراطورية الخمير. وبوصفها عامل رئيس لاستمرار الحياة، كانت المياه موضع تقدير واهتمام على مر العصور، وحظيت باهتمام كبير في الديانات الكبرى في العالم، بما في ذلك البوذية والمسيحية والهندوسية والإسلام واليهودية والسيخية.

كما حظيت الأراضي الرطبة كونها مورد هام للمياه والعديد من المنتجات والقيم أخرى - تعرف الآن باسم «خدمات النظام البيئي» - باهتمام الانسان على مر العصور. وظهرت على هذه الأراضي الرطبة وحولها العديد من الحضارات في العديد من مناطق العالم ولا يزال بعضها ينبض بالحياة حتى وقتنا الحالي. ولعل من من أبرز التحديات التي تواجه مسألة الحفاظ على الأراضي الرطبة وتحقيق الاستخدام المستدام لها هو التأكيد على فهم الانسان للقيمة والأهمية الكبرى لها في عالم اليوم الذي يشهد تغيرات كبيرة وسريعة بين الحين والآخر.

في حديقة "شيشي" الوطنية للأراضي الرطبة في الصين بالقرب من مدينة "هانجوزو" بدلنا نهر "يانجتز" هناك دليل على وجود ثقافة مرتبطة بالأرض الرطبة يرجع تاريخها الى 5.000 عام. فخلال عهد اسرة هان دونغ (م 223) اجتمع البوذيين للشرب من مياه "شيشي" وبنيت المعابد في الموقع. كما أظهر الشعراء البارزين في عهد اسرة تانغ (م 618) والأسر التي جاءت بعدها، جمال الطبيعة في "شيشي" من خلال قصائدهم.

أقيم مهرجان قوارب التنين الأول في المنطقة في عام 1465 وفي منتصف عام 1600 بنى البوذيين المزيد من المعابد. وكان كثيرا ما يشار الى البرسيمون والخوخ والقصب والخيزران وأشجار الكافور الرائعة والأنواع المختلفة من الطيور في "شيشي" في الكتابات والقصائد واللوحات في تلك الفترة. كما تمثل ثقافة الصيد في شيشي عنصرا هاما في حياة مدينة هانغزو المجاورة منذ ذلك الوقت، حيث تحصل المدينة على الأسماك والسلاحف من برك "شيشي" التي يبلغ عددها 3000 الاف بركة.

لطالما لعبت الأراضي الرطبة - خاصة الأراضي الخثية- دورا فاعلاً في الحفاظ على بقايا ذات أهمية أثرية عظيمة. وتحمي الأراضي الرطبة المواد العضوية المغمورة بها مثل الحطب والجلود والمنسوجات الطبيعية من التحلل بشكل سريع بعكس ما يحدث عند تعرض هذه المواد الى الهواء. «تولند مان» هو اسم لمومياء بشرية يرجع تاريخها الى العصر الحديدي، اي منذ 2400 عام، تم اكتشافها عام 1950 في وحل خث في الدانمارك.

ويمكن العلماء، من خلال دراسة أجريت على حبوب اللقاح والنباتات الأخرى في نفس الخثية، من رسم صورة مفصلة عن الغطاء النباتي والمناخ في الوقت الذي كان فيه الرجل على قيد الحياة.

بايجاز...

ان المناظر الطبيعية والحياة البرية للأراضي الرطبة التي نتمناها في الوقت الحالي جاءت وليدة تفاعلات معقدة بين الناس والطبيعة على مر القرون. واذا ما تضررت أو دمرت هذه الروابط الحميمة فسيكون من الصعب استعادتها او انشائها من جديد.

من الممكن بسهولة ترجمة بعض القيم الثقافية الى اللغة الاقتصادية الصعبة لمعظم كبارصانعي القرار. ومثال على ذلك القيمة السوقية السنوية لمحصول أسماك الأراضي الرطبة والدخل التراكمي من السياحة والترفيه. اما القيم الدينية والروحية أو الفنية فلا يمكن تحديد ثمن لها، ولكن تعبيرات هذه القيم - مثل عدد زوار الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدينية- يمكن تقييمها اقتصادياً.

القيم الثقافية...

تقع بلدة "إلروسيو"، الصغيرة على حافة محمية «دونانا» الرطبة في الأندلس جنوب غرب اسبانيا وتشهد سنوياً احتفالات دينية تقليدية. ويمر موكب الحفل من خلال الأراضي الرطبة التي تتشكل منها الآن حديقة «دونانا» الوطنية.

ظلت حديقة «كاكادو» الوطنية المشهورة عالمياً وموقع رامسار الواقع شمال استراليا موطناً للسكان الأصليين على مدار 50,000 عام وخلال هذه الفترة ارتبطت الأرض بالثقافة بشدة واصبح كلا منهما جزءاً لا يتجزأ عن الآخر. وفي السنوات الأخيرة اسفر الدمج الوثيق بين استخدام التقنيات التقليدية لإدارة الأراضي وبين اخر ما توصلت اليه ابحاث الغرب عن العودة الى استخدام ممارسات الحرق التقليدية لاستعادة الغطاء النباتي المتنوع - وبالتالي زيادة التنوع البيولوجي- في الأراضي الرطبة في سهل كاكادو، وتوفير معلومات قيمة لتطبيق التقنية في أماكن أخرى بالحديقة.

”دائماً ما ينظر الى علاقة الانسانية بالبيئة الطبيعية بأنها علاقة فيزيائية حيوية، ولكن هناك الآن ادراك متزايد بأن المجتمعات انفسها ابتكرت عمليات متطورة لحماية وإدارة مواردها.“

وثيقة رامسار التوجيهية بشأن الثقافة والأراضي الرطبة.

تمثل المساحات الرطبة للعديد من ثقافات الشعوب الأصلية في جنوب أفريقيا مرحلة انتقالية بين العالم المادي والعالم الروحي ولها أهمية كبيرة كونها موطن الأجداد. وهناك عرف سائد أن صحة المرء ورخاءه يتوقف على احترام الأجداد، فهم وحدهم يملكون القدرة على جلب الحظ الجيد أو السيئ.

في أراضي «مبونجولوان» الرطبة التي تقع على بعد حوالي 80 كيلومترا الى الشمال من «ديربان» في «كوازولو ناتال»، جنوب افريقيا، يتحدث السكان المحليين باحترام عن الثعبان متعدد الرؤوس المعروف باسم «ني كانيامبا» ويعتبرونه الحارس السلفي لأراضيهم الرطبة. ويقال إن عدم احترام الأراضي الرطبة والثعبان يؤدي الى حدوث عاصفة كارثية. ويظهر هذا الثعبان الأسطوري في العديد من الثقافات الأفريقية الجنوبية ويظهر كذلك في العديد من النقوش الصخرية الجميلة .

من المستحيل تماماً تحديد ثمن بعض القيم الثقافية للأراضي الرطبة بشكل مباشر، لا سيما القيم ذات الأهمية الروحية الأصيلة أو الدينية أو الفنية. وفي مثل هذه الحالات، يمكن الرجوع الى المؤشرات الثانوية- على سبيل المثال، يزور حوالي 230,000 شخص حديقة «كاكادو» الوطنية المشهورة عالمياً وموقع رامسار الواقع شمال استراليا سنوياً ويقضون هناك 800,000 ليلة (وفقاً لأحصائيات الفترة بين عام 2005-2007) وتعتبر الأهمية الروحية والدينية للمنطقة عامل الجذب الرئيس للزوار.

على الجانب الآخر هناك قيم ثقافية أخرى يمكن تقييمها بسهولة باستخدام التقييم الاقتصادي الكلاسيكي. ومن هذه القيم على وجه الخصوص الترفيه والسياحة في الأراضي الرطبة. وعلى الرغم من أن الترفيه والسياحة يعتبران من القيم الثقافية الا أنه تمت مناقشتها بشكل منفصل في ورقة الحقائق رقم 9 التي تتناول أنشطة مثل رياضة الصيد والرماية.

لقد وضعت مجموعة عمل الثقافة والأراضي الرطبة في اتفاقية رامسار وصفاً لأربعة عناصر رئيسية من القيم الثقافية الشاملة للأراضي الرطبة . ويمكن تطبيق بعضا منها او جميعها على أي موقع للأراضي الرطبة :

◆ **المسكن** - المناظر الطبيعية الثقافية ومواقع التراث الثقافي والأهمية الأثرية والمستوطنات والبنية التحتية الحالية:

◆ **الاستخدامات الأولية لموارد الأراضي الرطبة** - الزراعة وتربية الماشية وصيد الأسماك وتربية الأحياء المائية وجمع الخشب واستخدام المياه والتعدين / استخراج المعادن وحصاد النباتات الطبية :

◆ **الاستخدامات الثانوية لموارد الأراضي الرطبة** - طهي النباتات وحيوانات الأراضي الرطبة وصناعة المنتجات والأدوات وتشبيد المباني التقليدية والسياحة والترفيه :

◆ **المعرفة وأنظمة المعتقدات والممارسات الاجتماعية** - البحث العلمي والتعليم والمعارف التقليدية - بما في ذلك اللغات/اللهجات والتقاليد الشفوية ونظم القيم الروحية وأنظمة المعتقدات والتعبير الفني.



CONVENTION ON WETLANDS

أمانة اتفاقية رامسار

82 شارع موفرنى جلاند 6911

سويسرا

هاتف رقم: +41 22 999 0170

فاكس رقم: +41 22 999 0169

البريد الإلكتروني E ramsar@ramsar.org

موقع المنظمة على الانترنت http://ramsar.org



تمت الترجمة والطباعة لهذا المنشور باللغة العربية بفضل الدعم الكبير الذي تقدمت به جامعة الدول العربية